النَّصُّ القرآني وبلاغة الأداء
أسلوب الالتفات في سورة آل عمران

الباحث: معاذ مراد مقري
جامعة سيدي بلعباس

وقف القرآن الكريم أمام البلغاء والفصحاء معجزة وحجة، حيث أن سر إعجازه يكمن في نظمه، وفصاحته. إنه النموذج الخالد للغة العربية بكل خصائصها،" وعلى الرغم من طول مدة تنزيله مترابط البناء محكم التركيب، لا اختلاف فيه أو تفاوت في أسلوبه قوة وضعفا من بدايته إلى نهايته "[1] فلا شك أن القرآن الكريم كان هو المحور الذي دارت حوله العلوم العربية لمعرفتها الإعجاز اللغوي، فقد كان الهدف الأسمى الذي أخلصت له هذه العلوم عنايتها، فوقفت على خدمته إلى جانب البلاغة، هذه الأخيرة تولت قديما دراسة الأبنية النصية محاولة إبراز وظائفها الجمالية والبرهانية، مما يوضح وعيهم بالتماسك النصي، الأمر الذي جعل بعض الباحثين وعلى رأسهم فان دايك يقول: « أن نحو النص ما هو إلا امتداد وتطوير لتلك القضايا المختصة بها البلاغة قديما أو أن علم البلاغة هي السابقة التاريخية، ويحاول علماء النص أن يطوروا مفاهيم وأفكار البلاغة القديمة وأن تدرس في إطار جديد...»[2] لهذا تصنف البلاغة في الدراسات اللغوية على أنها من علوم النص باعتبارها تضم مباحث، تسعى إلى تحقيق التماسك النصي كالوصل والفصل والحذف، والالتفات وغيرها من المباحث البلاغية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني – البلاغة – أسلوب الالتفات – البلاغة – الإعجاز – الخطاب .

الالتفات لغة:

أسلوب الالتفات هو أحد الأساليب البلاغية انتشارا في القرآن الكريم "بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا وأوسعها انتشارا في ذلك البيان الخالد"3 وردت لفظة الالتفات في القرآن الكريم في أ ربعة مواضع أولها في سورة يونس في قوله تعالى﴿ قالواْ أجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابآءَنَا و تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلأَرْضِ وَ مَا نَحْنُ

لَكُمَا بِمُومِنِين قالواْ أجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابآءَنَا و تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلاَرْضِ وَمَاَ نَحْنُ لَكُمَا بِمُومِنِين﴾[4] وفي سورة هود قوله سبحانه﴿ قَالُواْ يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَّصِلُوا إِلَيْكْ فاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّن اليْلِ وَ لاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمُ أَحَدٌ الاَّ امرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمُ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [5] وفي سورة الحجر قوله عز وجل ﴿ فاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّن اليْلِ وَاتُّبِعَ ادْبَرَهُمْ وِ لاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمُ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُومَرُنَ ﴾[6] وفي قوله سبحانه ﴿ **وَ الْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بَالسَّاقِ** ﴾[7] ومعناها في التفسير مثل ما جاء في سورة يونس لتلفتنا أي "لتصرفنا عما وجدنا عليه ءَابآءَنَا .... يعنون عبادة الأصنام".[8]

وفي مجاز القرآن يقول أبو عبيدة "أي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه"[9] والالتفات في لسان العرب "لفت الشيء بفتح الفاء لواه على وجهه، وفلانا عن الشيء: صرفه، رداءه على عنقه: عطفه، والكلام صرفه إلى العجمة، واللحاء عن الشجر: قشره، والريش على السهم: وضعه غير متلائم كيف اتفق، و الشيء رماه إلى جانبه ويقال اللفت الرجل بكسر الفاء لفتا: حمق، وعمل بشماله دون يمينه، والتيس اعوج قرناه واللفتاء الحولاء، واللفوت من النساء: الكثيرة التلفت، وامرأة لها زوج ولها ولد من غيره تشتغل به عن الزوج والمرأة التي لا تتبث عينها في موضع واحد وإنما همها أن تغفل عنها فتغمز غيرك، والمرأة النمامة والناقة الضجور عند الحلب تلتفت فتعض الحالب" [10] وفي معجم مقاييس اللغة "الام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة منه. لفت الشيء: لويته ولفت فلانا عن رأيه: صرفه والألفت الرجل الأعسر وهو قياس لباب: واللفيتة: الغليظة من العصائد لأنها تلفت أي تلوي" [11]وفي معجم المصطلحات البلاغية نجد المعنى غير بعيد عما جاء في المعاجم اللغوية "لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا أكثر منه،..." [12] فالمادة المعجمية للالتفات كما نلاحظ مختلفة السياق لكنها تحوم حول معنى واحد بل لا تتعدى أن يكون انصراف هيئة إلى أخرى أو من موضع إلى

موضع آخر" تدور في عمومها-كما نرى-حول محور دلالي واحد هو التحول أو الانحراف غير متوقع على نمط من أنماط اللغة".[13]

الالتفات اصطلاحا :

لقد أولى علماء البلاغة لظاهرة الالتفات اهتماما بالغا، وهذا قد يكون دليلا كافيا على مكانته التي يحتلها في الخطاب القرآني أو اللغوي ،حيث أخذت تلك الظاهرة تتطور وتتبلور بتقدم الزمن وكغيره من المصطلحات البلاغية الأخرى قد اعتراه كثيرا من الخلط والاضطراب، مما يجعله يحمل عدة مصطلحات "متنوعة كالمجاز والاستطراد حينا أي دون مصطلح محدد يجمعها..." [14] فمفهوم الالتفات لم يكن معروفا بهذا الاسم، ولعل أول من استعمل كلمة الالتفات هو الأصمعي من خلال "ذلك القول الذي يرويه أبو إسحاق الموصلي عن الأصمعي إذ يقول الأصمعي أتعرف التفاتات جرير؟ قلت ما هو؟ فأنشدني:

أتنسى إذ تودعنا إلى البشام سليمى بعود بشامة سقى البشام

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره إذا التفت إلى البشام فدعا له" [15] وأول تعريف اصطلاحي نسوقه هو تعريف عبد الله ابن المعتز في كتابه البديع، حيث كان الالتفات أول المحاسن التي ذكرها "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر" [16] يذكر عبد الله ابن المعتز في هذا المفهوم نوعين من الالتفات أو لنقل أن هذا المفهوم لا يقتصر سوى على نقل الضمائر من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار والنوع الثاني يتعلق بنقل المعاني بعضها من بعض.

بيد أن ذلك الاضطراب في مفهوم الالتفات سرعان ما أخذ في الزوال باستقرار رأي علماء البلاغة على أن الالتفات "هو نقل الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر" [17] ثم بدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقا آخر مع الرازي في تفسيره الكبير بتعديه الجملة الواحدة إلى مجموعة من

الجمل، وبالتالي يشكل وحدة كاملة "ويخر ج عن الحدود الضيقة، ويعده قسما من أقسام النظم يتعلق بعضه ببعض، وفيه تظهر قوة الطبع ،وجودة القريحة، واستقامة الذهن، حيث تتداخل فيه الجمل فتكون بناءا واحدا، وضم إليه أبوابا أخرى كالمطابقة والمقابلة والمزاوجة وغيرها من الأبواب التي ترى فيها الكلام متلاحم الأجزاء"[18] وهذا التلاحم في الجمل يسمى التماسك النصي في لسانيات النص وللالتفات دور كبير في خلق ذلك التماسك بين الجمل عن طريق تلك التنقلات بين الجمل، وهذا يجعلنا نتبنى مصطلح الالتفات وندخله مجال التناول النقدي، وننقله من حقل مجال اشتغاله الجملة في الدرس البلاغي إلى حقل آخر مجال اشتغاله النص".[19]

وقبل الشروع في استخراج مواطن الالتفات لهذه السورة لابد وأن نقف عند فضل سورة آل عمران، فقد جاءت النصوص تثري في فضلها من حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول: اقرأوا الزهراوين(سورة البقرة وآل عمران) فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة" [20] وجه تسميتها ب آل عمران" أنها ذكرت في فضائل آل عمران وهو ماتان والد مريم عليهما السلام وءاله هم زوجة حنة وأختها زوجة زكرياء النبي، و زكريا كافل مريم إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حملا فكفلها زوج أختها" [21] ولهذه السورة أسماء أخرى ذكرها بعض المفسرين "كالأمان، والكنز، والمعنية، والمجادلة وسورة الاستغفار وطيبة" [22] ومكان نزول هذه السورة"كان بالمدينة باتفاق علماء التفسير، بعد سورة البقرة حيت قيل إنها ثانية لسورة البقرة على أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة وعدد آياتها مئتا آية وهي السورة الثامنة والأربعون في ترتيب عدد نزول سور القرآن ".[23]

مواضيع الالتفات في السورة:

تحتوي سورة آل عمران على مجموعة متنوعة من الالتفات إلا أننا الذي سندرجه هو الالتفات بالضمائر، حيث تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال و العبارات والجمل المتتالية، فقد يحيل ضمير محل كلمة أو جملة أو عدة جمل وبهذا تساهم في كونها تربط بين أجزاء النص ما يعرف في لسانيات النص بالإحالة، ويبدوا أن الإحالة بالضمائر هي الأكثر شيوعا إلى جانب الإحالة بضمائر أسماء الإشارة من الإحالة بالضمائر في قوله تعالى:﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلَ اسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لّلذين اتُواْ الكِتابَ وَ الامّيّينَ ءَآسْلَمْتُمْ فَإِنَ آسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَ غُ وَالله بَصِيٌ بِالعِبَاد﴾[24] الضمير في (حاجوك) الظاهر أنه يعود على الذين أتوا الكتاب، وقال أبومسلم: يعود على جميع الناس لقوله بعد وقيل للذين (أتوا الكتاب والأميين) وقيل: يعود على نصارى نجران"[25]، وهذا التعليل يشمل التماسك بين جمل الآية جملة (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) ، وجملة (وقل للذين أتوا الكتاب والأميين ءآسلمتم).

1_ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

في قوله تعالى﴿لاَّ يَتَّخِذِ المومِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُومِنِينَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ الله في شيءٍ الاَّ أن تتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقيةً وَ يُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلى الله الْمَصِيرُ﴾[26]

موضع الالتفات في الآية قوله تعالى:(اِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقيةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) بأسلوب الخطاب بعد قوله تعالى: لاَّ يَتَّخِذِ المومِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُومِنِينَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ الله في شيءٍ ﴾[27] بأسلوب الغيبة كما جاء في روح المعاني عند الألوسي، يقول: "إلا أن تتقوا أي على صيغة الخطاب بطريق الغيبة استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل في النهي معتبرا فيه الخطاب أي لا تتخذوهم أولياء في حال من الأحوال إلا حال تقاتكم"[28] تتضمن هذه الآية نهيا تاما من الله سبحانه وتعالى من موالاة الكافرين وهذا بلا ريب يغضب الله.

في قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمَ بَيْنَكُمْ فِيماَ كُنتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُون﴾ [29] التفات من ضمير الغائب في قوله تعالى(من الذين كفروا) ثم انتقلت الآية إلى مخاطبتهم بقوله تعالى:(ثم إلي مرجعكم فأحكم فيما كنتم فيه تختلفون) قال فيه بعض المفسرين الالتفات هنا لدلالة على شدة إيراد إيصال الثواب والعقاب لدلالة الخطاب على الاعتناء فإنه أبلغ في التبشير والإنذار" [30] فالآية تخاطب عيسى عليه السلام بوفاته ورفعه إلى السماء والتطهير من الكفار لذلك كان الأولى أن يكون غيبا بيد أن الموضوع يخص الجميع ولا أحد يستطيع الفرار من المصير فأتى الخطاب المباشر لهذا تحول الأسلوب من صيغة الغيبة إلى الخطاب. [31]

ومنه قوله سبحانه:﴿ وَ لاَ يَحْسِبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمآ ءَاتيهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ وَ لِلهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالارْضِ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [32] الالتفات في قوله تعالى(بما تعملون) بصيغة الخطاب المباشر بعد أسلوب الغيبة عند قوله تعالى(لا يحسبن الذين) والسر في هذا كما يقول المفسرون إن الخطاب أبلغ في الوعيد من صيغة الغيبة فهو أقرع لأذن السامع وأنفذ إلى لبه، وفيه من استحضار الصورة ما يفوق الغيبة بكثير ولهذا حول المولى الحكيم الأسلوب من الغيبة التي كانت عليها صيغة الحكاية إلى هذه المواجهة القوية في أنه يعلم ما يعملون سبحانه. [33]

2_ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

في قوله تعالى:﴿ **رَبَّنا إِنَّكَ جَامِعُ النّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ** ﴾ [34] يتجلى الالتفات هنا في قوله (إن الله لا يخلف الميعاد)بصيغة الغيبة وهذا كان بعد دعائهم لله عز وجل والالتجاء إليه في قولهم(ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) وكان مقتضى السياق أو الآية(إنك لا تخلف المعاد) صيغة الخطاب بيد أن جملة(إن الله لا يخلف الميعاد) جاءت بصيغة الغيبة لأغراض بلاغية

كما يقول ابن عطية يحتمل أن يكون إخبارا منه محمد عليه الصلاة والسلام وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قو الداعين،ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى، ويقول الألوسي تحليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتقاء الريب وقيل تأكيد للحكم السابق وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات للإشارة إلى تعظيم الموعود والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل.."[35]

وفي قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَ ضَعْتُهَا انثى وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالانثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي اعِذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾[36] الالتفات في قوله(والله أعلم بما وضعت) بصيغة الغيبة وهذا بعد سياق الخطاب في قول مريم عليها السلام مناجية الله سبحانه وتعالى بهذا النداء الذي يحمل معنى التحسر والتلهف لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس، ولا يجوز ذلك عندهم وكانت قد رجت أن يكون ما في بطنها ذكرا.[37]

وقوله تعالى ﴿ قَالَتْ رَبِ أَنّي يِكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [38] الالتفات في (قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) غيبة بعد خطاب مريم عليها السلام لله سبحانه مباشرة في قولها(رب أنى).[39]

3_ الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيا وَ الاخِرَةِ وَمَالَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمُ اجُورَهُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [40] موضع الالتفات في (فيوفيهم بصيغة الغيبة بعد التكلم في قوله (فأعذبهم) فالتكلم أولا ناسب موضوع الآية التي قبلها في قوله تعالى(ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) فأبان سبحانه أن هذا العذاب الشديد كان نتيجة حكمه العادل فيهم ولهذا ناسب اتحاد الضميرين بين الفعلين [41] (أحكم، أعذب) وإسنادهما له سبحانه مباشرة يعطي عمقا أبعد للمعنى في تصوير هذا العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.قال أبو حيان "بدأ أولا بقسم الكفار لأن ما

قبله من ذكر حكمه تعالى بينهم هو على سبيل التهديد والوعيد والكفار والإخبار بجزائهم فناسبت البداءة بهم ولأنهم أقرب في الذكر بقوله(فوق الذين كفروا)، حيث كان الكلام مع اليهود الذين كفروا عيسى عليه السلام ثم ذكر المؤمنين وكان هذا عن طريق الالتفات- فيوفيهم بالياء وذلك على سبيل الالتفات والخروج من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع في الفصاحة".[42]

وأيضا في قوله تعالى:﴿ وَ لاَ يَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المومِنين علَى مَا أَنتُم عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطَلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَّشآءُ فئَامِنُواْ باللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُومِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [43] الالتفات في قوله(ما كان الله ليذر(بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى(أنما نملي) حيث كان مقتضى السياق- ما كان ليذر المؤمنين- ولكن ظهور لفظ الجلالة للإشعار بعلة الحكم والمراد بما هو عليه أي تركهم مختلطين لا يعرفون من منهم المؤمن ومن المنافق فالخطاب للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض. وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقهم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم".[44]

وقوله عز و جل:﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْواهُمُ النَّارُ وَبِيسَ مَثْوى الظَّالِمِينَ ﴾ [45] الالتفات في (أشركوا بالله ما لم ينزل)غيبة والتكلم بعده في قوله(سنلقي) يقول فخر الرازي(بما أشركوا بالله فاعلم أ، (ما)مصدرية، والمعنى بسبب إشراكهم بالله والأمر الجلي هو ظهور لفظ الجلالة بأسلوب الالتفات.[46]

4_ الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَولاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وأولائِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ وَ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بئَايَاتِنا

فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [47] الالتفات في قوله تعالى(كذبوا بآياتنا) بصيغة التكلم بعد قوله(من الله شيئا) في لفظ الجلالة بصيغة الغيبة لتناسب ما قبلها وما بعدها فتكون كذبوا بآيات الله- ولكن سبحانه آثر صيغة التكلم لإسناده هذه الآيات العظيمة له مباشرة فيعلي من شأنها ويشير إلى عظم عقاب مكذبيها فقد أنكرها الكفار افتراءا منهم على الله جل جلاله، فقد كان شأنهم وصنيعهم هذا في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب بموسى عليه السلام. [48]

وقوله تعالى:﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَ الانجِيلَ وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرَاءِ يلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَائِرا بِإِذْنِ اللهِ وَ أُبْرِئُ الاكْمَهَ وَالابْرَصَ وَاحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وَانَبِئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّومِنينَ﴾. [49] يتجلى الالتفات هنا من الغيبة في قوله تعالى(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة و الإنجيل ورسولا) إلى التكلم في قوله عز و جل(أني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم)وفي هذا التحول مناسبة كبيرة بين الجملتين لأن الجملة الثانية من قوله(وأني قد جئتكم) معمول لرسولا أي ناطقا بأني قد جئتكم. [50]

وأيضا قوله تعالى﴿ وَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِنَ ذَالِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيات وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [51] (ذلك نتلوه) صيغة التكلم والغيبة في قوله (وأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) أضاف سبحانه وتعالى التلاوة إلى نفسه وإن كان الملك هو التالي تشريفا له صلى اله عليه وسلم وكذلك رفعا لشأن ما يتلى عليه من القرآن. " [52]

يشكل الالتفات حلقة وصل بين الآيات، وهذا بفضل اعتماده على الضمائر بين الرجوع إلى الخلف أو السابق ثم المواصلة في التركيب يخلق علاقة متصلة بين الكلمات وجمل الآيات وإن كان ذلك لا يتعدى الجملتين في بعض

الأحيان بيد أنه لا يمنع من حدوث التماسك النصي بالإضافة إلى تحقيق الاستمرارية التي هي سمة بارزة في لسانيات النص.

هوامش:

[1]- مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1986، ص27.

[2]- أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، د ط، 2008 ص127/ ينظر صلاح الأفضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، د ط، 1992، ص 234/ سعيد حسن بحيري علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997، ص 6.

[3]- حسن الطبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، د.ط،1998، ص56.

[4]- سور ة يونس، الآية 78.

[5]- سور ة هود، الآية 81.

[6]- سور ة الحجر، الآية 65.

[7]- سور ة القيامة، الآية 29.

[8]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، 1 ط، 1418 هـ/1998م، الجزء3، ص163/ ينظر، القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1422،1هـ-2001،ج3، ص135/ الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت، د.ط، د.ت،ج11، ص165.

[9]- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة210هـ، تح محمد فؤاد سزكي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط،ج1،ص280.

[10]- ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، د.ط، د.ت.ج44، باب اللام، ص4051.

[11]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ،1979م،ج5، ص258.

[12]- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ-1983 ج1، ص294.

[13]- حسن الطبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العرب، د.ط،1998، ص11.

[14]- المرجع نفسه، ص17.

[15]- أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، (الكتابة والشعر)تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيد- بيروت، ط1427،1هـ،2006، ص358/ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي 390-456هـ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت- لبنان د.ط،ج2، ص46.

[16]- ابن المعتز، البديع، تح، كراتشوفسكي، دار الحكمة، دمشق، د.ط، د.ت، ص45.

[17]- خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، (رسالة ماجستير)،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص28/ الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط 1401،1هـ -1981م، ص28.

[18]- فائزة سالم صالح يحي أحمد، علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية(رسالة دكتوراه) مخطوط، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412هـ- 1992، مج2، ص452.

[19]- عبد الناصر هلال، الالتفات النصي من الإطار البلاغي إلى التناول النقدي، ص2.

[20]- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري- تح، محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي –لبنان، د.ط، د.ت.، رقم804 .

[21]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر(تونس)، د.ط،1984ج3، ص143.

[22]-الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان – بيروت، د.ط، د.ت، ج3ص73/ابن عاشور،ج3ص 143/أبي حيان تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى، 1413هـ -1993،ج2، ص389.

[23]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر(تونس)، د.ط،1984،ج3ص143.

[24]- سور ة آل عمران، الآية 20.

[25]- أبي حيان تفسير البحر المحيط، ج2، ص427.

[26]- سور ة آل عمران، الآية 28.

[27]- سور ة آل عمران، الآية 28.

[28]- الألوسي، روح المعاني، الإدارة للطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت،ج3، ص121.

[29]- سور ة آل عمران، الآية 55.

[30]- الألوسي البغدادي، روح المعاني، ج3، ص/ ينظر، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص498.

[31]- خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، (رسالة ماجستير)،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص 102.

[32]- سور ة آل عمران، الآية 180.

[33]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م، ج1، ص 666/ الألوسي، روح المعاني، ج4 ص 145/ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص 134/ خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص 124.

[34]- سور ة آل عمران، الآية 9.

[35]- القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ط1422،1هـ-2001،ج2، ص405.

[36]- سور ة آل عمران، الآية 36.

[37]- القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد،ج2، ص424، 425.

[38]- سور ة آل عمران، الآية 47.

[39]- خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص160.

[40]- سور ة آل عمران، الآية 57، 56.

[41]- الألوسي، روح المعاني، الإدارة للطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت،ج 3، ص185.

[42]- أبوحيان، تفسير البحر المحيط، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، مج2،ص499.

[43]- سور ة آل عمران، الآية 178، 179.

[44]- الألوسي، روح المعاني، الإدارة للطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت،ج4، ص136/ أبوحيان تفسير البحر المحيط ج3، ص130/ و الزمخشري، الكشاف، الجزء1، ص665.

[45]- سور ة آل عمران، الآية 151.

[46]- الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج9، ص34.

[47]- سور ة آل عمران، الآية 10، 11.

[48]- الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج7، ص200.
[49]- سور ة آل عمران، الآية 49.
[50]- الألوسي، روح المعاني، ج3، ص167/ أبوحيان تفسير البحر المحيط، ج2، ص487.
[51]- سور ة آل عمران، الآية58.
[52]- الألوسي، روح المعاني، ج3، ص185/ ينظر، أبوحيان تفسير البحر المحيط، ج2، ص499.